

## خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

١٠ من ذي القعدة ١٤٣٥ هـ / ٥ من أيلول ٢٠١٤ م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارضى اللهم عن الصحابة ومن اهتدى بهديهم واستنّ بسنتهم إلى يوم الدين.

أبرأ من الثقة إلا بك، ومن الأمل إلا فيك، ومن التسليم إلا لك، ومن الطلب إلا منك، ومن الصبر إلا على بابك، ومن الذل إلا في طاعتك، ومن الرجاء إلا لما في يديك الكريمتين، ومن الرهبة إلا لجلالك العظيم.

اللهم تتابع برك، واتصل خيرك، وكمل عطاؤك، وعمت فواضلك، وتمت نوافلك، وبر قسمك، وصدق وعدك، وحق على أعدائك وعيدك، فلم تبق حاجة لنا إلا قضيتها برحمتك يا أرحم الراحمين.

عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عز وجل، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين.

يقول المولى عليه السلام مخاطباً الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم بقوله سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

معاشر الإخوة: الأخلاق لغة عالمية تتفاهم بها الشعوب على اختلافها وتتحاكم إلى منطقتها، وربما اختلفت التقاليد والأحكام، لكن الأخلاق تظل مرتكزة إلى ما أودع الله في الفطر من تحسين الحسن وتقبيح القبيح، والأخلاق الفاضلة والكريمة هي

السلاح الأقوى في نصر الشعوب والرقى بالأمم، وقد كان المسلمون الأوائل نماذج أخلاقية، تجسد فيها الشرف والصدق والطهر والتجرد، ولذلك تصدروا القافلة

البشرية عن جدارة، ولا غرو كانوا صنع الإنسان الذي وصفه الله بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وكانوا نَضَحَ روحه العالی فمشت ورائهم الشعوب تتعلم وتتأسى، والأخلاق مجموعات متنوعة من الفضائل والتقاليد، تحيا بها الأمم كما تحيا الأجسام بأجهزتها وغُددها، فإذا اعتلت هذه المجموعات واختلت رأيت ما لا يسر في مسالك العامة والخاصة، والواقع أننا أُصَبْنَا بشلل عضوي في أجهزتنا الخلقية وملكاتنا النفسية، فأعاقنا عن الحراك الصحيح، وأن مجتمعاتنا تُشبه أحياءً انقطع عنها التيار الكهربائي فغرقت في الظلام، ولا بد من إصلاح الخلل الذي حدث كي يَسْطع التيار مرة أخرى، وعلاج الأعطاب الشديدة أو الخفيفة بالكلام البليغ أو النصح المخلص لا يكفي، لا بد من إزالة أسباب الخلل ومن إعادة الأوضاع إلى أسسها السليمة إلى فطرتها المستقيمة، قال سبحانه: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠] وقد راعنا أن خلائق مقبوحة انتشرت بين الناس دون مبالاة أو مع إغماض متعمد، واستمرت واقعة الناس لها حتى تحولت إلى جزء من الحياة العامة، ومن هنا رأينا الاستهانة بقيمة الكلمة، ورأينا قلة الاكتراث بإتقان العمل، ورأينا إضاعة الأمانات والمسؤوليات الثقيلة، ورأينا القدرة على قلب الحقائق، وجعل الجهل علماً والعلم جهلاً، والمعروف منكراً والمنكر معروفاً.

إن قضية الأخلاق وما عراها من وهن أمر جلل، إنك لا تستطيع بناء قصر شاهق دون دَعَائِمٍ وأعمدة وشبكات من حديد، ولا تستطيع بناء إنسان كبير دون أخلاق متينة ومسالك مأمونة، وجملة من الخلال تورث الثقة، فعندما ترى مجتمعا صارماً بمراعاة النظام دقيقاً في احترام الوقت، صريحاً في مواجهة الخطأ، شديد الإحساس بالآخرين، غيوراً على كرامة الأمة، كثيراً عند الفزع، قليلاً عند الطمع، مؤثراً إرضاء الله على إرضاء الناس، عندما ترى هذه الخلال تلتقي في مجتمع ما نتق أنه يأخذ طريقه صعوداً إلى القمة.

إن الدين والخلق قرناء جميعاً، وأنه إذا صح الإيمان وصحت العبادات التي فُرضت معه ازدهرت الفضائل وتعامل الناس بشرف ونبل وتراحم وتسامح، واستخف الغدر والمكر والخبث والشره والرزية والكذب والزور.

قال الفيلسوف الألماني "بيختا": الأخلاق من غير دين عبث. وقال الزعيم الهندي "غاندي": إن الدين ومكارم الأخلاق هما شيء واحد، لا يقبلان الانفصال، ولا يفترق بعضهما عن بعض، فهما وحدة لا تتجزأ، فالدين يُغذي الأخلاق ويُمنحها ويُعشها، كما أن الماء يُغذي الزرع ويُمنحه. وقال القاضي البريطاني "دينج" معقّباً على فضيحة وزير بريطاني: بدون الدين لا يمكن أن يكون هناك أخلاق، وبدون أخلاق لا يمكن أن يكون قانون.

يا سادة: لقد ورثنا ثروة من الآداب النفسية والاجتماعية، عندما يتدبرها المرء يتسائل إلى أي أفق من الكمال والثناء ترفعنا هذه النصوص لو أننا اعتصمنا بها وحولناها إلى مسالك حية، خذ هذه النماذج السريعة، قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: (والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه).

إن الحرب الشرسة التي ضربت أمننا واستقرارنا دعا الكثير من سماسة الأزمات يستغلون ظروف الناس، وذلك عندما يجدون أباً يبكي في ليله ونهاره يبحث عن ولده حاله كحال والد زيد بن حارثة، حيث بكى والد زيد على ولده، وأنشد يقول وهو يبكي:

بكيك على زيد ولم أدرك ما فعل  
فو الله ما أدري وإني لسائل  
أحبي فيرجى أم أتى دونه الأجل  
وأتى دونه الأجل  
أغالك سهل الأرض أم غالك الجبل  
وتعرض ذكره إذا غربها أفل  
تذكرنيه الشمس عند طلوعها

وهنا نجد الذين جفت مشاعر الأخوة والعاطفة من قلوبهم ينتهزون الفرص لسرقة أصحاب الفاقة واللوعة، قائلين لهم: أعطونا مبلغاً من المال ونحن نأتيكم بحاجتكم، فهل هذا -يا سادة- من الأخلاق؟ هل هذا من الأخلاق؟ أما يكفيننا إرهاب وتمويل ودعم من الخارج وتشريد من للبيوت ودمار للقرى والمدن والأحياء، ومع كل هذا وذاك نستغل بعضنا بسرقة بعضنا البعض، هل هذا من أخلاق العرب؟ هل هذا من أخلاق الإسلام؟ هل هذا من أخلاق الإنسانية؟ فحذار من هؤلاء السماسرة الذين امتلأت جيوبهم وانتفخت بطونهم على حساب دموع الثكالى والمحرومين.

إن السلبية لا تُزكى فرداً ولا جماعة، والأمة التي تدور حول مآربها ومصالحها وحسب لا يُرجى منها خير ولا يمكن أن تتقدم، ومن الأخلاق التي دعا إليها الإسلام، أن تسعى إلى إيواء أخيك في مكان آمن ومريح، لا أن تجور عليه برفع الأجرة لمن يُريد أن يُؤوي فيه عائلته وأطفاله! كيف تفعل ذلك؟ كيف تستغل الآخرين؟ كيف تفعل ذلك، والنبي ﷺ يقول: (من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة).

يا سادة: لا أرى أياماً نحن فيها فقراء إلى التعاون والتواد من هذه الأيام النكدة، فليترك الله أصحاب الفرص والمصالح، ومن الأخلاق التي أمرنا بها الإسلام أيضاً، أن نسعى إلى نظافة الطرق، إلى نظافة المدن ونظافة البيوتات، وإزالة الفضلات والقمامة منها، حتى لا تكون مرتعاً للحشرات ومصدراً للعلل، فقد كان اليهود يُهملون بيوتهم وأفنيتهم ويعيشون مع الأوساخ، فحذر الإسلام المسلمين من التشبه باليهود، فقد روى الترمذي أن النبي ﷺ قال: (إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم، ولا تشبهوا باليهود).

نظافة البيئة: إن الإسلام يعلمنا أن نظافة البيئة تعطيك جسماً سليماً وعقلاً سليماً، تعطيك جسماً صحيحاً وعقلاً سليماً وفكراً مستقيماً، واليوم تتعجب عندما تجد

القمامة هنا وهناك، وتستغرب عندما تجد الآخرين يلقون بأكياس القمامة من منافذ بيوتهم، هذا حال عجيب، الغرب وصل إلى الكوكب الأحمر، وصل إلى المريخ، ونحن ما زلنا نلقي بأكياس القمامة من شرفات البيوت والمنازل، هل هذا من أخلاق الإسلام؟ وجاءنا الإسلام أيضاً أمرنا أن لا نسلك طريق الهدر والإسراف، وذلك من أجل الحفاظ على الاقتصاد الوطني لا سيما بالمحافظة على نعمة الماء والكهرباء، حيث مر النبي ﷺ بسعد وهو يتوضأ، فقال له النبي صلوات الله وسلامه عليه: (ما هذا السرف يا سعد) قال: أفي الوضوء سرف؟ قال: (نعم، وإن كنت على نهر جار).

يا سادة: إن السياسيين في العالم يقولون: إن الحروب القادمة على منطقة الشرق الأوسط في الأعوام القادمة ستكون من أجل المياه، وذلك بسبب الجفاف الذي يضرب المنطقة عموماً، وأول معركة حدثت في التاريخ من أجل المياه، حرب على المياه، حرب من أجل المياه، هو ما فعله مضاد بن عمر زعيم قبيلة جرهم، حيث حاربه خزاعة وبنو بكر، فقام بردم بئر زمزم، عندما أدرك نفسه أنه لن يستطيع مقابلتهم ولن يستطيع إطالة الزمن في الحرب معهم؛ قام بردم بئر زمزم، حرّمهم من نعمة الماء، وساعده الأقدار الإلهية في ذلك، حيث جاء أمطار غزيرة وجرفت معها الأتربة والرمال فطمرت بئر زمزم تماماً، وظل البئر مَطموراً ما يُقارب ثلاثة مائة سنة، إلى عهد عبد المطلب، فجاء عبد المطلب جد النبي ﷺ وحفر البئر.

أما نعمة الكهرباء، هذه النعمة التي يتنعم بها الناس وهم لا يدرون ولا يشعرون بقيمتها وأهميتها في حياتهم، وتعلمون -يا سادة- أن حياتنا كلها قائمة على هذا التيار الكهربائي، فالواجب علينا أن نحصون هذه النعمة، حدثني أحد الناس صديقاً لي قال: تزوجت امرأة من روسيا، فعجبت من شأنها، كانت لا تدخل من غرفة ولا تخرج من غرفة إلا واطفأت المصباح خلفها، فقلت لها: عجب كيف تفعلين ذلك، فقالت له: نحن في روسيا نحافظ على الاقتصاد الروسي، إذا كل رُوسي هنا أنار

مصباحاً من غير فائدة ولا منفعة، فإن روسيا تخسر في العام كذا مليون دولار من وراء الهدر والإسراف. ألا ترون -يا سادة- كيف يُفكر الغرب ويتعاملون! رحم الله إمام الدعوة متولي الشعراوي عندما قال: ذهبت إلى الغرب فوجدت الإسلام ولم أجد المسلمين، وجئت إلى الشرق فوجدت المسلمين ولم أجد الإسلام. واليوم -مع الأسف- هناك الكثير من المتصهينين أو الذين يجهلون الأحوال الذي يمر بها هذا الوطن الحبيب من اعتداءات إرهابية خطيرة مأكرة مجرمة، كيف تستهدف البنى التحتية في هذا الوطن، كيف تستهدف اقتصادنا، عندما يكتب أحدهم أو الكثيرون منهم في الفيس بوك على الانترنت: إن الحكومة مقصرة، إن وزارة الكهرباء مقصرة، لم تنقطع الكهرباء؟ ما مصلحة الحكومة أن تقطع عنك الكهرباء أيها المواطن، قبل أن تلوم الحكومة لم الذين مؤلوا الإرهاب في وطنك، قبل أن تلوم الحكومة تفكر ما يجري في وطنك، وإني أريد أن أقول لهؤلاء الجاهلين الغافلين والحمقى: والله لو كانت غير سوريا مرت بهذه الحرب الكونية لما رأيت مصباحاً يُضيء ولا رغيف خبز في الأفران، ولا موظفاً يتقاضى راتبه، لكن حكومتنا قوية، هؤلاء يُريدون أن يُظهروا للعالم بأسره أن الحكومة ضعيفة، أن الحكومة مقصرة، أن الحكومة لا تصلح للقيادة، خستتم والله إن الجهد الذي تبذله الحكومة أنا لا أدافع عن شخص ما، إنما أتكلم حقيقة وواقعاً، إن الجهد الذي تبذله الحكومة من أجل توفير حياتك من طعام وشراب وماء وكهرباء، تعجز عنه الدول التي تدعي أنها عظمى.

وأنت أيها المواطن، أين دورك في حماية الاقتصاد؟ أين غيرتك على هذا الوطن؟ قبل أن تلوم الآخرين قل ماذا قدمت للوطن؟ أرينا ماذا عملت للوطن قبل الحرب وبعد الحرب؟ ماذا فعلتم للوطن قبل أن تتكلموا بهذا الكلام.

إن الأوطان لا يُنتقص قدرها ولا يُنال منها شيء إلا عندما تفسد النفوس والأوضاع، وعندما تضع مظاهر العدالة وتحتل موازين الاقتصاد، فإذا أردت -أيها

المواطن- أن تعيش حياة كريمة كما كنت تعيشها من قبل، كلنا يعلم على مستوى الكهرباء، كيف كان وضع الكهرباء قبل الحرب الكونية التي شنت علينا، كيف كانت مُستقرة، كيف كانت آمنة، كيف كانت تَسير على قدم وساق، وكيف بدأت الحكومة بجفر شبكات أرضية من أجل خدمتك أيها المواطن.

الآن بعد أن رأيت ما رأيت إذا كنت قد رأيت من تكالب الارهاب ومن ضربهم للبنى التحتية ولأنايب النفط وللتغذية الكهربائية؛ الآن أصبحت تقول: أين الكهرباء؟ أنا لا أقول أين الكهرباء، أنا اليوم في هذه الحرب الشرسة الكونية الأمريكية البريطانية الفرنسية السعودية التركية القطرية ومن يدور في فلحهم لا أقول أين الكهرباء، أقول أين الوطن، أنا أريد الوطن اليوم، أريد أن أقف إلى جانب الوطن، أريد أن أعمل شيئاً أصون به هذا الوطن.

يا سادة: إننا نخوض معركة وجود أو لا وجود، لكننا لا نأبى إلا أن تكون معركة وجود لنا ودحضاً للإرهاب الذي ضرب أمننا واستقرارنا، ونحن اليوم حَدِيثنا في هذا الخطبة عن الأخلاق، والله لو أننا عُدنا إلى أخلاقنا وإلى قيمنا لما وصل حالنا إلى ما وصلنا إليه، وقد أشار السيد الرئيس بشار الاسد قائد هذا الوطن في كثير من اللقاءات الخاصة والعامة على أهمية الأخلاق، وقالها مراراً وكررها كثيراً، قال: أزمنا أزمة أخلاقية، ومن تَفكر في ذلك يَرجع ويُدرك أنه حقيقة إذا عدنا إلى الأخلاق وإلى القيم وإلى المبادئ لا شك أن المؤامرة تندحر، وأنه لا مكان للإرهابيين بيننا.

وإني أتوجه -يا سادة- بالشكر القدير إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية الشقيقة، - نعم أقول شقيقة، لا أقول صديقة هي شقيقة، كل من حاربنا هو عدو لنا، كل من مول الإرهاب في سوريا، كل من جعل أولادنا يُفتقدون وبيوتنا تَهدم فهو عدونا، كل من عمل على قطع الرؤوس وحرقت الأجساد في الأفران هو عدونا، أما الذي وقف إلى جانب هذا الوطن من الدول فَنُسميه شقيقاً- أتوجه بالشكر العميم حكومة وشعباً إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية التي وقفت وما زالت تقف إلى جانب هذا

الشعب، وإني أقول إلى الخليجيين، لمن يُخوفون الشعوب من المد الشيوعي في الوطن العربي: ها هي إيران مَدَّت يَدَ الحب، مَدَّت يَدَ الخير، مَدَّت يَدَ المساعدة، مَدَّت يَدَ الدَّعم للمقاومة في لبنان، وفي فلسطين في غزتنا الجريحة، ومَدَّت يَدَ الخير والحب والعتاء لسوريا، أما أنتم يا كذبة، يا مَنْ تدعون أنكم تُحبوننا وتُخافون علينا من الامتداد الشيوعي، فأرونا ماذا قدمت لنا، نجيبكم: قدمت لنا قطع الرؤوس وانتهاك الاعراض، واختطاف الناس واختطاف الأبرياء، وحرمتنا أبنائنا من العلم، وسلبتمنا نعمة الاستقرار.

أيها المواطن السوري، أيها الشعب السوري الأبى المعطاء: كُن واعياً وكن حذراً لما يُحاك لوطنك ولك من تأمر ومكر، فإن المؤمن كما وصفه النبي ﷺ: (كَيْسُ فِطْن) وليس كَيْسَ فِطْن، والحمد لله رب العالمين.

### الخطبة الثانية:٢

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُجداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُجداً، وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله، اتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه، وأن غير غافل عنكم ولا ساه.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، اللهم ارحمنا فإنك بنا رحيم، ولا تعذبنا فإنك علينا قدير، اللهم إنا نسألك أن تنصر

الجيش العربي السوري، أن تنصُرهُ في كل مكان في ربوع هذا الوطن الحبيب، اللهم

إنا نسألك أن تثبت الأرض تحت أقدامهم، وأن تسد أهدافهم ورميهم يا رب

العالمين، وأن تكون لهم معيناً وناصرأ، اللهم وَفِّق السيد الرئيس بشار الاسد إلى ما

فيه خير البلاد والعباد، وخذ بيده إلى ما تحبه وترضاه، سبحان ربك رب العزة عما

يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.